من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان

د. طيب بوجمعة نعيمة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
جامعة ابن خلدون - تيارت

الملخص:

تعتبر مدينة تلمسان من المدن التي كان لها دور حضاري في عملية البناء الفكري والثقافي والعمراني في تاريخ المغرب الاسلامي عموما والمغرب الأوسط تحديدا. وهذه الأهمية جعلتها تتمتع بمنزلة استثنائية لما امتلكته من مزايا جمالية فضلا عن ازدهارها الثقافي والعلمي، وانتشار الحرف والصنائع والحرف والفنون فيها، فبلغت درجة كبيرة من التطور العلمي والعمراني، جعلتها تتبوأ مكانة عالية نافست بها أكبر المراكز الفكرية والعلمية آنذاك في منطقة المغرب الإسلامي مثل: بجاية، القيروان، فاس وقرطبة. وسنحاول من خلال هذا البحث "من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان" تسليط الضوء على بعض الجوانب الحضارية التي تمتعت بها المدينة عبر تاريخها الطويل، ولا سيما فترة الحكم الزياني.

الكلمات المفتاحية: تلمسان، حواضر، المغرب الاوسط، علم، حضارة، ثقافة.

Résumé: **Capitales du Maghreb Central: ville de Tlemcen**

La ville de Tlemcen est l'une des villes qui ont eu un rôle culturel dans le processus de construction intellectuelle, culturelle et urbaine dans l'histoire du Maghreb islamique en général et surtout dans l'histoire du Maghreb Central. Cette importance fait a son statut d'exception qui possédait, et ses avantages esthétiques, ainsi que la prospérité culturelle et scientifique, et la diffusion des métiers et de l'artisanat, et des arts qui, lui a permis d'atteindre un haut degré de développement scientifique et urbain, et d'en faire un lieu de compétition avec les plus grands centres intellectuels et scientifiques dans la région du Maghreb islamique, tels que: Béjaia, Kairouan, Fès et Cordoue. Et a travers cet article, nous allons essayer de mettre en évidence certains des aspects culturels dont la ville a bénéficié à travers sa longue histoire, en particulier la période des Zéyanids.

مقدمة:

ان الحديث عن حواضر[1] بلاد المغرب الاوسط خاصة – والمغرب الاسلامي عامة-وما جادت به من مساهمة علمية وحضارية في بوتقة البناء الحضاري الاسلامي ليجعل ابنائها يشعرون بالفخر والتباهي، فمن ينكر اهمية مدن مثل: تلمسان، بجاية، قسنطينة ومازونة وغيرها في هذا الميدان، وما قدمته من اضافات حضارية لايمكن تجاهلها، والتي بدورها عززت من اهمية الدور الحضاري الاسلامي في وضع اسس بناء الصرح الحضاري الانساني. ومن هنا، جاء اهتمامنا منصبا على واحدة من هذه الحواضر- وهي تلمسان- لكي تكون اشكالية بحثنا هذا، والذي سنحاول من خلاله تقديم صور مما شهدته هذه المدينة من حالة رقي والتطور جعلها تقف في طليعة مدن المغرب الاوسط في العصر الوسيط الاسلامي.

إذ، لايختلف اثنان على الاهمية التاريخية التي تتمتع بها مدينة تلمسان في منطقة المغرب الاسلامي، وهذه الاهمية جعلتها تتمتع بمنزلة استثنائية- ان صح التعبير- لما امتلكته من مزايا جمالية فضلا عن ازدهارها الثقافي والعلمي وانتشار الحرف والصنائع والفنون فبلغت درجة كبيرة من التطور الفكري والثقافي والعمراني، وجعلها تتبوأ مكانة نافست بها أكبر المراكز الفكرية والعلمية في منطقة المغرب الإسلامي، مثل: القيروان، مراكش، فاس وقرطبة. وسنحاول من خلال هذا البحث "من حواضر المغرب الأوسط: مدينة تلمسان" تسليط الضوء على بعض الجوانب الحضارية التي تمتعت بها المدينة عبر تاريخها الطويل، ولا سيما فترة الحكم الزياني، اذ ازدانت هذه المدينة بابهى حلتها وكانت في اوج عطائها.

اولا: اهمية مدن المغرب الاوسط الحضارية:

لقد شكلت بلاد المغرب الاسلامي وحدة ثقافية وحضارية متكاملة على الرغم من الانقسامات السياسية التي شهدتها المنطقة. وهذا الامر كرس مفهوم التفاعلية العلمية والحضارية والفكرية في المنطقة، اذ لم تقف الانقسامات السياسية عائقا امام حرية حركة العلم والعلماء بين مناطق المغرب الاسلامي، وانما على العكس كانت جميع الظروف مواتية لان يجد علماء المغرب الاسلامي التسهيلات التي تساعدهم على الافادة والاستفادة. ويؤكد الدكتور مكيوي محمد على هذه المسالة بالقول:"لقد كانت العلاقات الثقافية بين اجزاء المغرب الاسلامي في نمو مطرد خلال هذا العصر، فكانت بجاية وتلمسان ومراكش وفاس، حواضر اشعاع الثقافي. وظل هذا الوضع قائما حتى

في احلك اوقات الصراع السياسي وازمنة القطيعة التي كانت تظهر هنا وهناك لاسباب سياسية او عقدية "[2].

وتتجلى الاهمية الحضارية لمدن المغرب الاوسط وتصاعد تالقها الثقافي والفكري في البناء الحضاري الاسلامي بما ذكره ابن خلدون، حين قال:"إن كانت الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت، مثل البصرة والكوفة، الا أن الله قد ادال منها بامصار أعظم من تلك، وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وماوراء النهر من المشرق، ثم الى القاهرة، وما اليها من المغرب، فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائم" [3].

وفي هذا السياق كانت منطقة المغرب الاوسط بحواضرها المتعددة تؤدي دورها في التميز والبروز الحضاري، وتمكنت مدن المغرب الاوسط من ان تساهم مساهمة كبيرة وفاعلة في مدنية المغرب الاسلامي، ولم يتوقف دورها على بعدا معين دون غيره. وهذا ما جعلها مراكز استقطاب واهتمام المشايخ والعلماء من كل مناطق المغرب الاسلامي وخارجه، في ايام الرخاء والمحن. اذ كانت مدنا مثل: بجاية وتلمسان لا تقل اهمية عن مراكش وفاس وغيرهما من مدن المغرب الاقصى في استهواء العلماء والاستقرار بها، وهذا ما تؤكده المصادر التي اشارت الى المئات من اعلام الفقه والادب والتصوف والفلسفة وغيرها من العلوم[4].

وهكذا، فقد كانت حواضر [5] المغرب الاوسط مراكز اشعاع للفكر والثقافة في سماء المغرب الاسلامي، فهي بتناوبها في البروز والتميز حافظت على مكانة بلاد المغرب الاوسط واستمراريتها في امداد الحضارة الاسلامية الكثير من الاضافات. ولكن تميزت في وسط هذه الحواضر مدنا دام عطائها بالرغم من كل الظروف التي احاطت بها. وفي هذا يعلق الباحث عشي علي بالقول:"اما حواضر الام التي حوت اقطاب العلم في المغرب الاوسط، وشهدت ازهى عصورها العلمية، وتلالات كالكواكب العلمية في مختلف انحاء المغرب الاوسط، هي تلمسان وبجاية، بفضل العلم والدين، محور هذا الحراك، اضافة الى التجارة ، حيث نادرا ما نجد مدرسة او زاوية او رباطا يخلوا من كتب العقائد"[6].

وهكذا، نجد ان الحركة العلمية والثقافية في بلاد المغرب الاوسط لم تتوقف يوما، وانما استمرت وتصاعد، وهي تتنقل بين حاضرة واخرى، فكانت هذه الحواضر نقاط استقطاب للعلماء

من مختلف مناطق المغرب الاسلامي ومشرقه ايضا. وكانت مدينة تلمسان منبتا من منابت العلم والمعارف، وخزانا للعلماء والفقهاء ومزارا لطلبة العلم والمحطة المثلى لاغلب الرحلات العلمية.

ثانيا: تلمسان حاضرة دولة وموطن حضارة:

ان انتشار الحواضر وتعددها في بلاد المغرب الاوسط لم يفقد احدها الاهمية والقيمة والمكانة الحضارية التي كانت عليها. وانما على العكس، ان انتشار الحواضر تلك وكثرتها ساهم في انتشار العلوم والمعارف في المنطقة، حيث اراد معظم حكام الدول بعد ان استتب ت الامور لصالح وعم الاستقرار السياسي والرفاهية بين الاهالي الى تشييد المنشات العمرانية وتاسيس المراكز الحضارية والثقافية التي تضمن نمو السكان ورقي الحياة الاجتماعية واتساع التجارة فيها وتحقيق الازدهار العلمي والفكري. وسنحاول من خلال الحديث عن مدينة تلمسان، كنموذج، لابراز ما ساهمت به تلك الحواضر في نشر العلم والثقافة. اذ تعد تلمسان من اهم المراكز الثقافية التي شهدها المغرب الاوسط في العصر الوسيط.

لقد عرف عن مدينة تلمسان تعدد اوجه الاهمية لها، فهي ان لم تكن الحاضرة السياسية ، فان دورها الحضاري يغطي عليها، وزد على ذلك، القيمة الثقافية والعلمية اختطتها لنفسها، عبر احتضانها عددا من المراكز الثقافية والعلمية، واستقطابها الكثير من العلماء والأدباء، ولهذا كانت مسالة تميزها لا تقتصر على بعد معين، وهذا ما جعلها قبلة الثقافة وموطن الحرف والصنائع وملهمة الفنون فبلغت درجة كبيرة من التطور الفكري والثقافي، مما جعلها تتبوأ مكانة نافست بها أكبر المراكز الفكرية والعلمية في منطقة المغرب الإسلامي، مثل القيروان، فاس وقرطبة[7].

1. تلمسان المعنى والجذور:

مدينة تلمسان[8] البلد الضاربة في قدم الزمان، منذ أن غدت حاضرة للدولة الزيانية أخذت تنمو وتزدهر لترقى إلى مصاف أهم حواضر المغرب الإسلامي، أبهرت كل من زارها من الرحالة وطلبة العلم، مدينة تشرف السفراء والرسل بالحلول فيها، واستأنس اللاجئون بأهلها وسلطانها. وأخذت تتغذى بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوحات الإسلامية، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي، ونما في أهلها التشبث بالإسلام وتعاليمه واحترام العلماء وتبجيلهم[9].

وعن عراقتها وامتدادها العميق في التاريخ الذي يعود إلى فترات قديمة، كتب بن معمر محمد واصفا عراقتها: "مدينة تلمسان تعود إلى العهد القديم حيث شملها تيار الفتح الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، على يد أبي المهاجر دينار (55-62هـ/674-681م) الذي يعود إليه الفضل في فتح المغرب الأوسط، فهو أول من وطئت خيله أرض هذا الإقليم، فتحولت منذ ذلك التاريخ إلى مدينة إسلامية واصطبغت فيها الحياة الثقافية بالصبغة الإسلامية أيضا"[10]. وما ذهب إليه بن معمر محمد، يقدم دلالة واضحة على البعد والصبغة الاسلامية التي حملتهما تلمسان منذ ذلك التاريخ والى وقتنا هذا.

لقد أطنب الجغرافيون والكتاب في وصف تلمسان وبيان سحرها، وذكر روائعها، وتسابقوا في إبراز خصائصها الجمالية والعمرانية، فهذا العبدري في مصنفه الرحلة المغربية، يقول عنها: "مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنتين بينهما سور، ولها جامع عجيب مليح متسع، وبها أسواق وأهلها ذوو ليانة ولا بأس بأخلاقهم"[11]. وأشار اليعقوبي بأنها كانت آهلة بالسكان، حين قال: "وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة"[12]. أما لسان الدين بن الخطيب فقد أشار إليها بوصف بديع يعكس مدى تأثيرها على شخصه، حين قال: "تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه، عبادها يدها وكهفها كفها وزنتها زيانها وعينها أعيانها، هواها المقصور بها فريد وهواؤها الممدود صحيح عتيد، وماؤها برود صريد، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب فلا نحول فيها ولا شحوب، خزانة زرع ومسرح ضرع، فواكهها عديدة الأنواع، ومتاجرها فريدة الانتفاع، وبرانسها رقاق رفاع إلا أنها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك، ومن أجل جمعها الصيد في جوف الفرا مغلوبة للأمرا، أهلها ليست عندهم الراحة إلا فيما قبضت عليه الراحة ولا فلاحة إلا لمن أقام رسم الفلاحة، ليس بها لسع العقارب إلا فيما بين الأقارب، ولا شطارة إلا فيمن ارتكب الخطارة"[13]. ومثل هذه الاشارات تقدم الدليل المادي على ان هذه المدينة لها في محيطها مكانه لايمكن تجاهله مهما حدث ويحدث لها

ونظرا لما كانت تتمتع به مدينة تلمسان في محيطها، نالت صيتا كبيرا في بلاد المشرق الإسلامي، فكانت قبلة النظار وأمنية الزوار، وقد وصفها القلقشندي قائلا: "وهي مدينة على سفح الجبل، ولها ثلاثة عشر بابا، وماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها، وفي خارجها أنهار وأشجار، ويستدير بقبلها وشرقها نهر يصب في بركة عظيمة من آثار الأول، ويسمع لوقعه فيها خرير على

مسافة ثم يصب في نهر آخر بعد ما يمر على البساتين، ثم يصب في البحر، وعليه أرحاء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر، وبقعتها شريفة كثيرة المرافق، ولها حصون كثيرة وفرض عديدة"[14]. كما أن هناك العديد من الاشارات التي تبين مزايا هذه المدينة الطبيعية مما جعلها تتمتع باهتمام العامة والخواص بل وكانت في أحيان كثيرة مطمعا الطامعين.

إذ لا بد من الإشارة في هذا السياق أن المدينة ضاربة في القدم، وهو ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون في مصنفاتهم، حيث وصفها الإدريسي وغيره بأنها "مدينة أزلية"[15]، يعني أنها قديمة جدا وهذا ما يجعل تاريخ تأسيسها صعب التحديد، وأكد الحميري أيضا على قدمها، فقال: "ومدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت مملكة للأمم السالفة"[16]. ورجح حاجيات عبد الحميد إلى أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى عهود ما قبل التاريخ. وقدمها يتجلى في تعدد الأسماء التي أطلقت عليها عبر العصور، مما يطرح إشكالية موقعها، ويدعو إلى التساؤل عن احتمال تعدد المواقع خلال العصر القديم، ولاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار تعدد الفئات السكانية بربر، فينيقيين، رومان، وندال، بيزنطيين وأفارقة، وتعدد الديانات من وثنية ومسيحية وغير ذلك[17].

وحاول بعض الرحالة العرب المسلمين إعطائها صبغة دينية تاريخية، حين أشار القزويني إلى أنها المدينة[18] التي ذكرها الله تعالى في قصة الخضر وموسى، وكتب يقول: "فانطلقا حتى آتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا جدارا فيها يريد أن ينقض فأقامه. وقيل: أنه كان جداراً عاليا عريضا مائلا، فمسحه الخضر عليه السلام بيده فاستقام"[19]. وشكك ابن خلدون في هذه الرواية، حين كتب يقول: "فأمر بعيد عن التحصيل لأن موسى عليه السلام لم يفارق المشرق إلى المغرب، وبنو إسرائيل لم يبلغ ملكهم لإفريقية فضلا عما ورائها"[20]. وفي عهد المرابطين[21] أصبحت مدينة تلمسان، لأول مرة في تاريخها جزءا من دولة مترامية الأطراف شملت الأندلس والمغربين الأقصى والأوسط، فانعقدت بين هذه الأقطار علاقات حضارية وثيقة، وتأثرت تلمسان بفنون الأندلس وثقافته، ورسخت منزلة المذهب المالكي بها، وهاجر إليها بعض من علماء الأندلس والمغرب الأقصى[22]. أما في عهد الموحدين[23] فقد استمر نمو النشاط المعماري، وظلت تلمسان تحتل مكانة مرموقة كمقر للمغرب الأوسط وكمركز عام للتجارة والحياة الدينية والعلمية، وفي أيامهم تم تحصين تاجرارت، حيث شيدت أسوارها بدءا من سنة 566هـ/1171م وانتهى سنة 581هـ/1185م عندما قامت ثورة بني غانية[24]، فكان لذلك الانجاز أثره الكبير في الحفاظ على أمن

المدينة وصمودها في وجه الحصار المفروض عليها. وليس هذا فحسب، وانما وفر شروط استمرارية مسيرتها الحضارية[25].

2. تلمسان في العهد الزياني:

ولكن العصر الذهبي لمدينة تلمسان، بدأ مع تأسيس الدولة الزيانية سنة 633هـ/1236م، ويعلق ابن خلدون على هذه المسألة بالقول: "نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب"[26]. وهكذا اهتم السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م)[27] منذ اختيارها عاصمة لحكمه في جعلها مركزاً حضارياً يستقطب العلماء والفقهاء بما يعزز من مكانة دولته الناشئة، ولم تتوقف الحركة العلمية والفكرية فيها طيلة فترة حكمه التي شابتها الكثير من الحروب والصراعات مع دول الجوار، ويرجع سر ذلك إلى النزعة الفكرية والعلمية التي تميز بها السلطان يغمراسن في حياته[28]. وهذا ما رسخ أسس ومفاهيم سار عليها سلاطين الدولة الزيانية فيما بعد، والذي جعل من تلمسان عاصمة دولة بني زيان ومركز إشعاعهم الحضاري والفكري.

من هنا، غدت تلمسان عاصمة دولة، ومقر سلاطين المغرب الأوسط، فاتسعت مساحتها، وكثر الوافدون إليها من حرفيين وتجار وكتاب وعلماء وأدباء وغيرهم، وفدوا إليها من مختلف مناطق المغرب الإسلامي والأندلس، واستمر نمو نشاطها التجاري والصناعي والمعماري، مما رسخ علاقاتها مع دول غرب أوروبا وبلاد السودان، وذلك بفضل ما تم عقده مع تلك الدول من اتفاقيات ومعاهدات[29]. وهو ما جعلها واحدة من أغنى وأرقى مدن المغرب الإسلامي حسب قول الحميري: "ولم يكن في بلاد المغرب بعد أغمات وفاس أكثر أهلها أموالا ولا أرقه حالا"[30].

ويعلق ابن خلدون على تنامي أهمية تلمسان، بالقول: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع الصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية، والله وارث الأرض ومن عليها"[31].

وهذا يدعونا الى القول، من ان تميز الأوضاع السياسية في منطقة المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية مرت بأحداث جسام، إذ عانت المنطقة من حالة عدم استقرار نتيجة استمرار تدخلات الدولتين المجاورتين -المرينية والحفصية- في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية، الأمر الذي أدى إلى حدوث حالة من الفوضى السياسية وعدم الاستقرار وفقدان الأمن بالمنطقة[32].

وعلى الرغم من الظروف السياسية التي كانت تحيط بالدولة الزيانية، إلا أننا نجد حاضرة الدولة تلمسان،لم تتأثر بتلك الفوضى، حينما كانت سفينتها العلمية والحضارية تشق عباب بحر العلوم والمعارف، ولم تسجل حالات فتور أو تراجع في هذه المجالات إلا لأوقات قصيرة جدا، وهذا هو ديدن المدن التي تشع الحضارة من بين ثناياها، وبلا أدنى شك كانت تلمسان حاضرة من حواضر العلم في المغرب الإسلامي. وهنا أقتبس ما قاله السيد عبد العزيز سالم وهو يصفها ويبين أهميتها في المنطقة، بالقول: "وازدهرت مدينة تلمسان في عهدهم (الدولة الزيانية) رغم هذه العواصف والأنواء، وكانت تحضى بموقع ممتاز، وكان لمياهها الجارية فضل كبير في إحاطتها بالجنان والبساتين، فاستعادت بذلك مجدها القديم، وكانت مركزا تجاريا هاما يقصده تجار المسلمين والمسيحيين على السواء"[33].

3. الدور الاقتصادي لمدينة تلمسان:

ولم تقتصر أهمية مدينة تلمسان على الجانب السياسي أو العلمي فحسب، وإنما كانت تلمسان تحتل أهمية اقتصادية كبيرة في منطقة المغرب الأوسط خاصة، والمغرب الإسلامي عامة. إذ يعتبر الاقتصاد عصب الحياة لأي مجتمع، وعامل أساسي لاستمراريته وتطوره ورقيه، لأنه يمثل تحدياً يومياً للإنسان، وهو يشمل في معناه تدبير المعاش وإنماء الثروة بكل أنواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الألوان واختلفت المظاهر من جميع أنواع المهن والصناعات، وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس من تباين المتاجر والأسواق، والدافع في ذلك هو رد الإعسار وجلب الرفاهية[34].

كتب الحميري معلقا على أهميتها الاقتصادية، وتحديدا في الجانب التجاري، فيقول: "قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأقصى من واد يسمى المجمع وهو نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرهما إلى مدينة سول، وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة واركلان (اورجلان) وغيرهما من بلاد الصحراء"[35]. وهذا الموقع جعل من تلمسان سوقا

تجاريا كبيرا حسب قول جورج مارسيه (Goerges Marcais)، حين قال: "كان الطريق شمال – جنوب دائم الإرتياد لأن المواد الثمينة لبلاد السودان كانت تغذي الأسواق الواقعة عليه، خصوصا الذهب والعبيد وكذلك المصنوعات التي تأتي من أوروبا، عن طريق مؤاني وهران وهنين...إنه يكفي يومان من الإبحار للوصول من هنين إلى ألمرية الإسبانية التي تصنع الأقمشة الحريرية والخزف"[36].

ووقوعها عند ملتقى المسالك التجارية من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها، هو ما دفع بمارمول كاربخال (Marmol Carvajal) للتأكيد على أهميتها الاقتصادية، حين قال: "إن مدينة تلمسان أصبحت في عهد أبي تاشفين من العظمة بمكان، حتى كانت تضم ستة عشر ألف دار مسكونة وتقام فيها أغنى تجارة إفريقيا"[37]. ولم يقتصر التميز الاقتصادي على الجانب التجاري، وإنما عرفت تلمسان أيضا بغناها الفلاحي[38]، والذي كان يعتبر مصدر اكتفائها الذاتي وجودة منتجاتها الفلاحية، وقد أشار الحسن الوزان إلى سهل تسالة القريب من تلمسان الذي اعتبره من أخصب أراضي المغرب الأوسط، وعد مردوده الإنتاجي على مستوى عال، فكتب قائلا: "سهل كبير يمتد على مسافة نحو عشرين ميلا، وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب، يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب"[39].

4. البعد الحضاري لمدينة تلمسان:

ومن الناحية الحضارية أصبح للمغرب الأوسط عامة وتلمسان تحديداً، دور فعال في بناء صرح التمدن الإسلامي في منطقة المغرب الإسلامي، وظهرت آيات هذه الحضارة في مجالات مختلفة، مثل: الفنون الجميلة كالموسيقى التي بلغت درجة ممتازة بفضل التفاعل الواقع بتأثير الموسيقى الأندلسية، حيث كانت تلمسان نقطة انطلاقها إلى سائر مناطق المغرب الأوسط، كما شهد الفن المعماري تطورا هو الآخر، إذ أبدى السلاطين الزيانيين اهتماما كبيرا ببناء القصور ومختلف المعالم المعمارية كالجوامع والمدارس والأسوار وغيرها، وما قصر المشور مقر الحكم الزياني، إلا دليل واضح على التطور والرقي الذي شهده هذا الميدان، كما اهتموا أيضا من منطلق إبراز أهمية تلمسان في المغرب الإسلامي، فاعتنوا بتشيد مراكز الترفيه والتنزه، مثل: الخزان الكبير الذي تم إنشائه في بستان بديع كان من أجمل منتزهات تلمسان، والملعب الكبير الذي كان يشهد سباقات الخيول[40].

ومن أبرز المنجزات المعمارية الزيانية، التي تندرج في إطار اتساع المدينة، اختطاط المشور بالجهة الجنوبية منها في عهد يغمراسن بن زيان، بهدف جعله مقرا لسلاطين الدولة الزيانية وأمرائها،

يشيدون فيه القصور والمنازل الفخمة، ويستقبلون فيه الحفلات الدينية وغير ذلك. والى جانب ذلك، فإن تشييد باب كشوطة في الجهة الغربية، من أجل إحكام تحصين المدينة، في ذات الفترة لدليل واضح على توسعها الملحوظ من هذه الجهة، خارج الأسوار القديمة، وضرورة بناء خط أمامي للأسوار لحماية الأسوار الجديدة[41]. وقد وصفها لنا العبدري بقوله: "سورها أوثق الأسوار وأصحها"[42]، أما اليعقوبي فقال عن سورها: "وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة"[43]، فيما وصفه الحميري من أن: "لها سور متقن الوثاق"[44]، وكل هذه الأوصاف تدل على متانة أسوار المدينة ودقة صنعها. وتشير بعض المصادر إلى أن عددها بلغ سبعة متوجة كأسنان المنجل[45]. وكان لها خمس أبواب ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهيب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة[46]. وعرفت المدينة خلال الثلث الأول من القرن الثامن الهجري (14م)، نهضة كبرى في شتى المجالات الحضارية، حيث تم تشييد العديد من القصور والمدارس والمساجد وغيرها من المشاريع العمرانية مختلفة، وقد بلغت مساحتها آنذاك اتساعا كبيرا لم تعرفه من قبل، وكانت تلك الفترة أزهى عهد لتطورها العمراني[47].

إن الدور الحضاري الذي عرفته تلمسان لم يتوقف في كل الظروف، وإنما على العكس وقفت هذه المدينة تتحدى كل المخاطر التي أحاطت بها عبر إصرارها على لعب ذات الدور الذي اعتادت عليه منذ اختيارها حاضرة للزيانيين. وعلى سبيل المثال، لم يتوقف هذا الدور الحضاري حتى في الوقت الذي استولى عليها بني مرين قرابة ربع قرن من الزمان، وكتب إبراهيم حركات معلقا على هذه الميزة بالقول: "غير أن استيلاء بني مرين على تلمسان لفترة تناهز ربع قرن خلال أيام أبي الحسن[48] وأبي عنان[49]لم تكن لتوقف ركب التقدم الفكري في هذا المركز الثقافي ذي الإشعاع النافذ، فقد استمر النشاط الديني والتعليمي حافلا مثلما كان في عهد بني عبد الوأد، علما بأن التقهقر الفكري لا يرتبط حتما بالتدهور السياسي"[50].

5. الرقي الثقافي والعلمي في تلمسان:

إن الثقافة والعلم من الأسس والركائز التي لا يمكن تجاهلها إذا ما أريد بناء مجتمع متحضر ومتطور. ومما لاشك فيه أن نمو العلوم وازدهارهما في أي مجتمع يتحقق في ظل حالة من الأمن والاستقرار بما يسمح باستمرارية النشاط الفكري والإبداعي. ومن الصعب جدا أن يتحقق ما أشرنا إليه في حال فقدان الأمن والأمان والاستقرار السياسي، ويقدم لنا ابن خلدون توصيفا رائعا لهذه المسألة، حين يقول: "في العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة والسبب في ذلك

أن تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش"[51].

وفيما يخص البعد الثقافي والعلمي في تلمسان ونموه، فإنه شهد خلال العهد الزياني وثبة حاسمة، وعلى ما يبدو أن تلمسان أخذت دورها المتميز منذ بداية اختيارها حاضرة للدولة الزيانية على عهد يغمراسن بن زيان، وعلى ما يبدو أن النزعة العلمية والثقافية التي تميز بها يغمراسن الذي جرى على سياسة حرية البحث والتفكير الذي كان سائد في العهد الموحدي، بحيث نجده يحب العلم ويقرب العلماء إلى مجالسه، ويكرم وفادتهم، ويغدق عليهم الأموال والهدايا[52]. وقد سار خلفائه على نهجه فعملوا على استقدام العلماء وتقريبهم. فقد كان سلاطين بني زيان على دراية بأهمية العلم للسلطان والدولة[53]، فعملوا على تشجيع العلم والعلماء وهي ميزة عرف بها غالبية سلاطين الدولة الزيانية وأمرائها[54].

هذا الاهتمام المتزايد من طرف أمراء بني زيان ساهم في استقطاب المدينة للعلماء من مختلف مدن المغرب الأوسط ومن خارجه أيضا، ومن هؤلاء نذكر: أبو بكر محمد المرسي الأندلسي[55]، أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي وأخوه أبو عبد الله محمد وهما من كبار علماء عصرهما، عرفا بالصلاح والزهد[56]. وقد توافد عليها أيضا الكثير من الأدباء والعلماء الأندلس كأبي بكر بن خطاب المرسي، ومن أنحاء أخرى من بلاد المغرب الإسلامي مثل الأخوين ابني الإمام[57]، اللذان قدما إلى تلمسان إثر الحصار الكبير، فعينهما السلطان أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) للتدريس في المدرسة التي بناها في حي المطمر[58].

كما تدفق عليها علماء كثر من مدينة بجاية، حيث ساهموا بدورهم في نهضتها العلمية بشكل كبير، مثل: أبي العباس أحمد بن موسى البجائي، صالح بن محمد بن موسى بن الشيخ محي الدين الحسني الزواوي ومنصور بن علي بن عبد الله الزواوي[59] وغيرهم من علماء بجاية[60]. وقد أخذ على هذه النخبة من العلماء والأدباء جماعة من رجال العلم، نبغوا في مختلف العلوم، ورحلوا لطلب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغربا، وذاع صيتهم في مختلف الأنحاء. ومن أشهرهم أبو عبد الله الآبلي التلمساني أستاذ عبد الرحمن بن خلدون، والشاعر ابن خميس، وابن مرزوق الخطيب، وأبو عبد الله الشريف وسعيد العقباني وغيرهم[61].

وكان الآبلي من الذين أولوا عناية خاصة بعلوم الحكمة من منطق وفلسفة ورياضيات وفلك وتاريخ وغير ذلك، وساهم مساهمة كبرى في نشرها بتلمسان وفاس وتونس، فتكون على يده العديد من مشاهير العلماء، وقاموا بتطبيق ما تلقوه عنه من نظريات في شتى العلوم. فألف ابن خلدون مقدمته الشهير في التاريخ، وسار على منوال تلك النظريات أبو عبد الله الشريف في التفسير والأصول، وسعيد العقباني في الاعتقاد، وقام غيرهم من العلماء بتأليف كتب هامة في الرياضيات وعلم الفلك، مما جعل الحياة العلمية بتلمسان ترقى إلى مستوى رفيع، يضاهي مستوى كبريات أمصار المغرب الإسلامي، وبلغت خلال القرن الثامن الهجري (14م) أوج ازدهارها[62].

ولما كان التعليم، وما يزال، القاعدة الأساسية لأي نهضة ثقافية وفكرية في أي مجتمع مهما كان، ففي العهد الزياني الذي نهضت فيه الحياة الثقافية والفكرية بشكل لم يشهدها المغرب الأوسط من قبل، انتشر التعليم بالمدن والقرى بواسطة الكتاتيب والزوايا والمدارس والمساجد[63]، وكان المسجد هو الأساس في العملية التعليمية أولاً وأخيرا، وذلك قبل ظهور المدارس والمراكز التعليمية.

ومن منطلق حرص حكام البيت الزياني في دعم الثقافة والعلوم، فقد تطور المنظومة التعليمية في المغرب الأوسط عموما، وتلمسان خصوصا، وغدت المدارس ومجالس العلم التي كانت تعقد على مستوى عال من الرقي والتطور بشكل تدريجي. وبهذا الصدد كتب حاجيات عبد الحميد معلقا بالقول: "إن تطور الحياة الثقافية بتلمسان في مرحلة ازدهارها له علاقة وثيقة بالنهضة الثقافية، التي عمت سائر أقطار المغرب الإسلامي. لقد كان انطلاقها خلال القرن السابع الهجري وازدهرت في القرن الثامن الهجري، ثم اتجهت في القرن التاسع الهجري نحو استقرار نسبي، ثم تلا ذلك فترة اتسمت بطابع النقل والتقليد، لعوامل مختلفة أدت إلى تناقص تدريجي شمل أغلب المجالات الثقافية في سائر أقطار المغرب"[64]. وبناءا عليه، عد الاهتمام بالتعليم ومؤسساته من قبل الحكام الزيانيين من الأمور التي توارثوها عن بعض[65]، ولم يقتصر هذا الاهتمام على تطوير البنى التحتية للمؤسسات التعليمية فحسب، وإنما عكفوا وبكل جهد على إحضار وانتقاء كبار العلماء في بلاد المغرب الإسلامي ومنحهم المناصب الهامة للتدريس في تلمسان[66].

لقد شكل أبو حمو موسى الثاني علامة مضيئة في تاريخ الأسرة الزيانية ليس على الصعيد السياسي، وإنما في حبه واحتفائه بالعلم والعلماء. وفي هذا كتب الحافظ التنسي يصف اهتمامه بالعلم والعلماء، قائلا: "وأما اعتناؤه بالعلم وأهله فأمر يقصر اللسان عن الإجابة عنه، وفي دولته

كان الإمام العالم المتفنن البحر الحبر، شريف العلماء وعالم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمود من سبط إدريس بن إدريس...فكان له محبا ومعظما، وبه حفيا ومكرما، إذ كان واحد عصره دينا وعلما نقلا وعقلا، انتفع به الناس حيا، وبتصانيفه ميتا، فكان يوجهه في الرسائل للأمور المهمة، ويلتمس بركة بيته الشريف في كشف الخطوب المدلهمة، وله بنى مدرسته الكريمة"[67].

وكان من البديهي أن تندفع شخصية تفاعلية مثل شخصية أبي حمو موسى الثاني إلى إنشاء المدرسة اليعقوبية والتي تعد الثالثة في تاريخ البيت الزياني، حيث كان يرى بأهمية إنشاء المدارس لشد معالم العلم، فقد كرس[68] سلطته لرعاية التعليم من خلال ما أنجزه للمدرسة التي أنشاها، فجعل يوم افتتاحها يوما عظيما احتفل به وعين فيه أبا عبد الله الشريف مدرسا بها، كما حضر بنفسه أول درس بها لتفسير القرآن الكريم[69]. وكتب قريان عبد الجليل يصف مكانة أبي حمو موسى الثاني وعلمه وتأثير ذلك على تطور المنظومة التعليمية، قائلا: "والظاهر أن أبا حمو الثاني قد جمع بين علوم النقل وعلوم العقل إلى جانب ما امتاز به من النثر والنظم...ويشهد لاحتفائه بالعلم وتقديره لأهله، أنه لما بنى مدرسته قدم للتدريس فيها الشريف أبا عبد الله، وحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له"[70].

ونتيجة هذا، ساهمت مدينة تلمسان، بفعل منشاتها العلمية والثقافية المتعددة، الى جانب باقي مدن المغرب الاوسط في بروز عدد هائل من العلماء الذين تركوا تراثا علميا ضخما توارثته الأجيال، وقد احتفظ التاريخ بمصنفاتهم التي بقي تأثيرها على الحركة العلمية إلى اليوم بالإضافة إلى الزيارات المتواصلة التي كان يقوم بها العلماء لتلمسان من المغرب ومن الأندلس والمشرق طلبا للعلم والتفقه على علماء تلمسان[71].

وهكذا، كانت مدينة تلمسان بفضل جهود سلاطين بني زيان مركزا ثقافيا هاما، وبلد إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الإسلامي الثقافية، إذ نبغ بها أجيال من العلماء حملوا مشعل الفكر من جيل لآخر، ويعلق عبدلي لخضر على هذه المسألة بالقول: "اهتم الزيانيون منذ أن استقر سلطانهم في المغرب الأوسط على نشر العلم والثقافة، وكان عهدهم الذي دام أكثر من ثلاثة قرون من أعظم عصور تاريخ المغرب الأوسط فازدهرت الحياة الثقافية في عهدهم"[72]. وفي بيان أهمية تلمسان الثقافية كتب المقري يقول: "وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء ما لا ينضبط، ويكفيها افتخاراً دفن ولي الله سيدي أبي مدين بها"[73]. كما تميزت مدينة تلمسان بظاهرة البيوتات[74]

العلمية التي ذاع صيتها في بلاد المغرب الأوسط وخارجه أيضا، وعرف رجالاتها بالعلم والثقافة والتأثير الروحي أيضا، ومنها: أسرة ابني الإمام، وأسرة المقري والعقباني[75] والمرازقة. ومن الطبيعي أن يزحف تأثير ذلك على باقي مدن المغرب الأوسط التي هي الأخرى، شهدت ظهور بيوتات ذاع صيتها بالعلم وانتاج العلماء، ومنها: أسرة آل قنفذ وآل باديس في قسنطينة وأسرة المشدالي وأسرة المنجلاتي في بجاية[76]، وغيرها من الأسر العلمية التي تركت أثرها على الحياة العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الذي عاشه ابن مرزوق الحفيد.

ومن خلال ما سبق نجد أن العامل الذي جعل تلمسان تتميز في حركتها العلمية والثقافية كان مرتبطا بالحركة العلمية التي شهدها المغرب الإسلامي ولاسيما حواضره، بمعنى أن الموقع الوسط الذي كانت عليه تلمسان، جعلها محطة توقف للعلماء وطلبة العلم، وهذا ما ساعدها في الحفاظ على استمرارية رقيها الفكري والثقافي الذي عرفت به، وقد يكون للمنافسة السياسية أيضا بين دول المنطقة أثرها في تفعيل ذلك[77].

بالمقابل ما يؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه بخصوص ديمومة الحراك العلمي والثقافي مرتبط بحراكية عامة في بلاد المغرب الإسلامي، ما يتجسد في مدينة تلمسان حاضرة الدولة الزيانية، التي لم تشهد تراجعا أو توقفا عن انتهاج طريق الارتقاء العلمي والثقافي الذي كان قد أخذ خطا بيانيا تصاعديا يقابله خط بياني تنازلي في دورها السياسي، وهذه المؤشرات تتناقض مع الرأي الذي يقول أن الرقي الفكري والحضاري مرتبط بحالة الاستقرار السياسي. وتدعيما لما نذهب إليه، نشير إلى ما ذكره محمد رزوق بخصوص الرحلة التي قام بها خالد بن عيسى البلوي[78] سنة 736هـ/1335م والتي زار خلالها مدينة تلمسان، والرحلة التي قام بها إبراهيم بن الحاج النميري[79] إلى بلاد المغرب الإسلامي سنة 745هـ/1344م زار خلالها مدينة تلمسان[80]. ولو أمعنا النظر في التاريخين الذين تمت خلالهما الزيارتين، نجد أنهما كانتا في فترات اضطراب وفوضى شهدها بلاد المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة. وتتمة لهذا القول، نستعين هنا بالرأي الذي ذكره فيلالي عبد العزيز، حين قال: "لا شك أن الحياة السياسية القلقة التي عاشتها مدينة تلمسان في بعض الفترات من تاريخها الزياني التي سببتها الفتن الداخلية أو الحملات المرينية والحفصية المتكررة على العاصمة الزيانية، لم تؤثر على الحياة العقلية السائدة في المدينة أو تعرقل نموها المطرد، بل ظلت تلمسان تحافظ على مكانتها العلمية حتى في أحلك ظروفها السياسية، ويعود ذلك إلى جملة من العوامل من البيئة التلمسانية ومن واقعها المادي والبشري، ومن معطياتها الاجتماعية والفكرية"[81].

6. مكانة تلمسان في عيون محبيها:

ان التميز الذي حازت عليه مدينة تلمسان عبر مسيرتها الحضارية الطويلة، جعلها تحظى باهتمام اخر وتميز اضافي غير الذي ذكرناه في الصفحات السابقة من ريادة في الانتاج الحضاري المتنوع والاثراء في مسيرة الرقي الفكري والثقافي لمنطقة المغرب الاسلامي. واعني هنا، تلك الصور الجميلة التي رسمها لها زوارها من العلماء والأدباء في ما قالوا فيها من شعر يمتدحون فيها مكانتها وقيمتها الحضارية والعلمية، فهذا لسان الدين الخطيب، يقول فيها[82]:

حَيّـا تِلِمْسَـــانَ الحيـاَ فَرُبُوعـُـهَا ... صدف يَجُــودُ بَــدْرُهُ المكنــونِ
مَا شِئتَ مِن فَضْلٍ عَمِيمٍ إن سَقَى ... أَرْوَى وَمَـن لَيْــسَ بِالمَنُــــونِ
أَوْ شَئْتَ مَن دَيْـن إِذَا قدحَ الهَوَى ... أورى وَدُنْيَـا لم تَكُـن بَالدونِ
ورد النسيـــم لهَا بِنَشْـرِ حَدِيقَـةٍ ... قَدْ أَزْهَــرتْ أَفْنَانُهَـا بفنــونٍ
وَإِذَا حَبِيبَــة أم يَحــي أَنجَبَـتْ ... فَلَهَا الشُفُوفُ عَلَى عُيُونِ العيـنِ

وتتجلى وتكبر تلمسان في عيون زوارها وهي حاضرة دولة ومدينة علم ومركز ثقافة، اذ أنشد فيها أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثَّغرِي[83] متغنيا بما وصلت إليه من رقي وتطور، حين قال[84]:

تَـاهَتْ تِلِـمْسَانُ بِدَوْلَتِـــهِ عَلَى ... كُلِّ البِـلاَدِ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الجَلِي
رَاقَتْ مَحَاسِنُـــهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَـا ... فَحَلاَ بِهَا شِـعْرِي وَطَـابَ تَغَزُّلِي
عَـرِّجْ بِمُنْعَرَجَاتِ بَابِ جِيَادِهَـا ... وَافْتَحْ بِهِ بَـابَ الرَّجَـاءِ المُقْفَلِ
وَاغْـدُ إِلَى العُبَّـادِ مِنْـهَا غُدْوَةٌ ... تُصْبِحُ هُمُومُ النَّفْـسِ عَنْكَ بِمَعْزَلِ
وَضَرِيـحُ تَاجِ العَارِفِينَ شُعَيْبِهـا ... زُرْهُ هُنَــاكَ فَحَبَّـذَا ذَاكَ الـوَلِي
فَمَـــزَارُهُ لِلدِّيـنِ وَالدُّنْيَا مَعـاً ... تُمْحَى ذُنُوبُكَ أَوْ كُرُوبُكَ تَنْجَلِي
وَبِكَهْفِهَا الضَّحَّاكِ قِفْ مُتَنَزِّهاً ... تَسْـرَحْ جُفُونُكَ فِي الجَمَالِ الأَجْمَلِ

وانطلاقا من هذه الأبيات الشعرية كانت تلمسان مدينة تنبض بالحياة، ورغم المحن التي تعرضت لها لم تحل بينها وبين حركيتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فرغم ما تعرضت له المدينة من مآسي وتخريب وانهيار كيان الدولة الزيانية على يد السلطان المريني أبي الحسن بعد

حصار دام ما بين 735-737هـ/1335-1337م، لم تفقد المدينة بريقها أو تستسلم لواقعها الجديد المحزن وإنما على العكس انتفضت على ذاتها، واستعادت حيويتها مثلما كانت، وفي هذا كتب الحسن الوزان يقول: "ولما ضعفت شوكة بني مرين، تكاثر سكان تلمسان من جديد حتى بلغ عدد دورها المسكونة ثلاثة عشر ألف دار"[85]. ومن خلال هذا القول، تتضح لنا الأهمية التي كانت تتمتع بها المدينة في العصر الوسيط الإسلامي.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع (**من حواضر المغرب الاوسط: مدينة تلمسان**)، خرجنا ببعض الاستنتاجات التي يمكن ادراجها وفق الاتي:

- تلمسان مدينة من بين أعرق مدن التاريخ والحضارة في المغرب العربي، تزخر بآثار كثيرة خلفتها حضارات الأمم والشعوب التي تعاقبت على المنطقة وظلت شاهدة على عمق ماضيها وعظم شأنها بين المؤرخين والرحالة والجغرافيين.
- تتميز تلمسان بموقعها الجغرافي الاستراتيجي، فهي تقع في ملتقى الطرق الرئيسة التي تربط الساحل الشمالي للمغرب العربي وموانئه بالصحراء الكبرى من جهة، وتصل شرقه بغربه من جهة أخرى. اشتهرت تلمسان بكونها مركزا عسكريا وتجاريا وحضاريا وسياسيا بارزا في منطقة الشمال الإفريقي عبر العصور، مما دفع بكل الدول التي حكمت هذا الفضاء الجغرافي إلى السعي الدؤوب للسيطرة عليها وضمها إلى حظيرة ممتلكاتها.
- مدينة تلمسان التي كانت حاضرة دولة ومدينة علم وصرح حضاري كبير، فهي مركزا للعلم والمعارف، وخزانا للعلماء والفقهاء، وهذا ما جعلها مزارا يحج اليه طلبة العلم، مما ساهم في نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية بمطقة المغرب الاسلامي عامة، والمغرب الاوسط خاصة، فغدت منارة للعلم، وقبلة لمن يريد الاستزادة والتعمق فيه. وذلك عبر احتضانها عددا من المراكز الثقافية والعلمية التي ذاع صيتها. وفي هذا يقول البكري عنها: "ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله"[86].
- اشتهرت مدينة تلمسان من أنها كانت الحاضرة السياسية للدولة الزياني، وزاد ذلك من اهميتها خلال فترة الحكم الزياني، وهذا ما جعل حكام الدولة الزيانية يستشعرون بهذه الاهمية. فكانت مساهماتهم في تدعيم هذه المكانة التي احتلتها المدينة كبيرة، واضاف

للمدينة بعدا جديدا وقيمة اضافية بين مدن المغرب الاسلامي. وهذا ما يجعلنا نستنتج من أن المكانة الرائدة التي كانت تحتلها تلمسان تعود إلى النزعة العلمية والثقافية، التي تميز بها حكامها وأهلها، ورعايتهم للعلم والعلماء.

- ان ما واجهته مدينة تلمسان من تحديات خارجية لم تحل دون القيام بدورها الحضاري، وإنما على العكس كان يعطي لها دافعا من أجل إزالة غبار المتاعب ومباشرة المسيرة من جديد للمساهمة في مسيرة الرقي الحضاري لمنطقة المغرب الإسلامي. وهنا نستعين ببعض من أجمل ما وصف حال تلمسان وقدرتها على الصمود والتحدي، بالقول: "ازدهرت الحياة في تلمسان ولو قدر أن تجد برد الاستقرار، لكان الوضع بها غير ما هي عليه، فإنها كانت في مكان من الشمال الإفريقي جنى عليها، وهو وجودها في الوسط بين دولتين كان كل منهما يخشاها ويطمع فيها، وهما الدولة المرينية والدولة الحفصية، فكان التآمر من الجانبين حتى أدى الأمر في أوقات إلى الاشتداد على هذه الدولة وزوال سلطانها، وكلما خفت الوطأة من جانب اشتدت من آخر ولربما اجتمعت جيوش الدولتين عليها، وهذا الوضع المضطرب سلبها بعض فحولها مثل ابن مرزوق"[87].
- خلدت مدينة تلمسان تاريخها الحضاري ونشاطها الثقافي والفكري، في العديد المنشات التي دلت على ذلك، مثل: مدارسها ومساجدها وخزائنها وهيئاتها الثقافية والحضارية استمرت في إشعاعها بشكل دائم ومستمر.
- استطاعت تلمسان ترتسم خلال مسيرتها الحضارية صورة ثقافية ، حينما غدت بوتقة اسلامية انصهرت فيها الأصول والمنابت المختلفة، جمعهم دين واحد، فانبثقت منه ثقافة موحدة.

الهوامش:

1. حواضر ومفردها حاضرة، والحاضرة لغة هي عكس البادية، وهي تشمل المدن والقرى والريف سموا بهذا الاسم لان اهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار ، والحاضر هو الحي العظيم او القوم المجتمع، وحاضرة صفة طائفة او جماعة يحضرون الى مكان ما. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير واخرون، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ نشر، ج:2، ص: 907.

2. مكيوي محمد، "عوامل ازدهار الحياة الفكرية في القرنين 7و8 هـ بالمغرب الاوسط". ورقلة، مجلة الاثر، ع: 9، ماي 2010، ص: 263.
3. ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص: 553.
4. مكيوي محمد، المرجع السابق، ص: 265.
5. قد لا نجد اتفاقا لدى جمع المؤرخين في وقتنا الحاضر حول استخدام مفردة الحاضر وما نعني بها، ومن خلال تخصصنا في التاريخ الوسيط الاسلامي ، تبين لنا ان هناك من يذكر هذه المفردة على انها هي العواصم السياسية للدول، وهناك من يذكرها على انها منابع العلم، وهناك من يذكرها على انها مراكز الثقافة. ومن هذا المنطلق حاولنا التقريب والجمع بين هذا التعريفات، لاسيما وان مدينة تلمسان تجمع كل هذه الصفات، فهي حاضرة دولة وعلم وثقافة. فعلى سبيل المثال يذكر الباحث عشي علي مدن: تلمسان ، بجاية ، قسنطينة، وهران، جزائر بني مزغنة وبونة وغيرها على انها حواضر علم. للتفاصيل ينظر: عشي علي، **المغرب الاوسط في عهد الموحدين: دراسة تحليلية للاوضاع الثقافية والفكرية 534هـ-1139م الى 633هـ/1235م**. أطروحة ماجستير غير منشورة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية والاسلامية، جامعة باتنة، 2012/2011، ص: 62-97.
6. عشي علي، المرجع السابق، ص: 62-63.
7. بن قربة صالح وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**. الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ط1، 2007، ص: 135.
8. عن معنى تسمية تلمسان وبقية الأسماء التي أطلقت عليها، ينظر: المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**. تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، ج: 7، ص: 134. بلقراد محمد، "تلمسان". الجزائر، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، ص ص: 299-301.
9. حاجيات عبد الحميد، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان". الجزائر، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، ص: 136.
10. "مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية". الجزائر، مجلة حولية المؤرخ، ع: 3-4، 2005، ص: 101.

11. العبدري محمد البلنسي، **الرحلة المغربية**. تق: سعد بوفلاقة، بونة، بونة للبحوث والدراسات، 2007، ص ص: 27- 28.
12. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، **كتاب البلدان**. ليدن، مطبعة بريل، 1890، ص: 139.
13. المقري، المصدر السابق، ج: 7، ص: 135.
14. القلقشندي أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. القاهرة، المطبعة الأميرية، 1915، ج: 5، ص: 150.
15. الإدريسي أو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، د.ت.ن، مج: 1، ص: 248.
16. الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**. تح: إحسان حقي، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص: 135.
17. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي**. الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2011، ج: 2، ص ص: 200-201..
18. وردت القصة في الآية القرآنية: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. سورة الكهف، الآية: 77.
19. القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت، دار صادر، د.ت.ن، ص: 172.
20. ابن خلدون عبد الرحمن، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ض: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ج: 7، ص: 102.
21. دام حكمها مابين 448-541هـ/ 1056-1147م، وبدء نشاط المرابطون كدعوة دينية سياسية ظهرت ونمت في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، بين قبائل الملثمين من صنهاجة الجنوب، وكانت قبيلة لمتونة عمادها، وما لبثت أن تحولت إلى دولة سيطرت على المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط والأندلس. ينظر: السيد سالم عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص ص: 604-680.

22. من أبرز المعالم الحضارية التي تعكس التلاقح الحضاري والتأثير المزدوج بين مناطق المغرب الإسلامي والأندلس الطراز الذي جرى بناء جامع تلمسان في تاجرارت في عهد المرابطين الذي يظهر التشابه بين تصميم الجامع وجامع قرطبة. وتم إنجازه عام 530هـ/ 1136م في عهد الأمير علي بن يوسف بعد سنوات من البناء انطلاقا من عهد يوسف بن تاشفين سنة 475هـ/1082م. ينظر: السيد سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص: 663-669.

23. يقصد به عهد الدولة الموحدية التي استمر حكمها مابين (524م/1130م–667هـ/1269م)، والتي تجمع المصادر التاريخية على أن مؤسسها وواضع قواعدها الأولى هو محمد بن عبد الله بن تومرت. ولكن من وضع أركان الدولة بشكلها الحقيقي هو عبد المؤمن بن علي. وتمكنت هذه الدولة من مد نفوذها إلى مساحات واسعة من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس. ينظر: عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية -عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى-**. القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1990، ص: 123.

24. ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة البربرية، كان مستقرها الصحراء ما بين سجلماسة وأودغشت، وهي من بطون صنهاجة، وكان لها دور كبير في نشوء الدولة المرابطية. ودخل هؤلاء في صراع مع الموحدين وتمكنوا من التوسع في المغرب الأوسط انطلاقا من عام 580هـ/1184م عام سيطرتهم على بجاية ، إذ اجتاحوا مدن المغرب الأوسط ولم تتمكن من مقاومتها إلا مدينتي تلمسان وقسنطينة، لمتانة تحصيناتهما. ينظر: واعظ نويوة، **أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580-633هـ/1184-1235م**. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والجغرافية، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2007/2006، ص: 35.

25. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص ص: 204-205.

26. ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 105.

27. **يغمراسن بن زيان (603-681هـ/ 1206-1283م):** هو أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولد سنة 603هـ/1206م، عرف عنه دهائه السياسي وشجاعته وهيبته في قومه، وبمكارم أخلاقه وإيثاره لذوي الفضل والعلم. اتخد من تلمسان مركزا لحكمه، وجرت البيعة له في يوم 17 جمادي الآخرة سنة 637هـ/1239م. مات سنة 681هـ/1283م، وحكم لمدة 50 سنة و5 أشهر. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص ص: 162-163. التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح وتع:

محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم، 2001، ص ص:111-112. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، **روضة النسرين في دولة بني مرين**. الرباط، المطبعة الملكية، 1962، ص: 45.

28. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**. الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2000، ج: 2: ، ص: 321.
29. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص ص: 205-206.
30. الحميري، المصدر السابق، ص: 135.
31. ابن خلدون، **العبر**، ج: 7، ص: 105.
32. شكل استمرار التهديدات الخارجية عائقا أمام استقرار الدولة الزيانية خاصة التدخل من جانب المرينيين. وقد أشار جورج مارسيه (Goerges Marcais) إلى الأهمية الجيوسياسية التي تتمتع بها منطقة المغرب الأوسط لا سيما ممتلكات الدولة الزيانية، هو الذي حفزهم دائما على احتلالها أحياناً أو إخضاعها حينا آخر، حيث يقول: "لأن مقاطعة بني عبد الواد كانت أهم موقع لانتشار القبائل المرينية في بلاد البربر -يقصد المغرب الإسلامي-، كانت الرغبة في الانتشار بالنسبة للمرينيين تراثا قديما طوال تاريخهم" . ينظر: مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى**. تر: محمود عبد الصمد هيكل، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1991، ص: 319.
33. السيد سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص: 788.
34. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ الجزائر**. بيروت، دار مكتبة الحياة، ط2، 1965، ج: 2، ص: 231. حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية**. الجزائر، منشورات الحضارة، 2009، ج: 2، ص: 11.
35. الحميري، المصدر السابق، ص: 135.
36. مارسيه جورج، المرجع السابق، ص: 329.
37. مارمول كاربخال، **إفريقيا**. تر: محمد حجي وآخرون، الرباط، دار نشر المعرفة، 1989م، ج: 2، ص: 302.
38. عن الأثر الاقتصادي للنشاط الفلاحي في الدولة الزيانية عموما وتلمسان تحديدا، ينظر: بشاري لطيفة، "صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد". مجلة عصور الجديدة، ع: 7-8، خريف– شتاء 2013/2012، وهران، ص ص: 50-60.
39. الوزان الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**. تر: محمد حجي ومحمد الأخضري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م، ج: 2، ص: 25.

40. زكريا مفدي، "النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، الجزائر، ص ص: 163-194.
41. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص ص: 205-206.
42. العبدري، المصدر السابق، ص: 28.
43. اليعقوبي، المصدر السابق، ص: 139.
44. الحميري، المصدر السابق، ص: 135.
45. حميش عبد الحق، **سير أعلام تلمسان**. المسيلة، دار التوفيقية، ط1، 2011، ص: 36.
46. الحميري، المصدر السابق، ص: 135.
47. حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص: 207.
48. **أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (731-752هـ/1330-1351م): ولد في صفر 697هـ/1296م، وبويع بالحكم في الدولة المرينية بعد أبيه في 25 ذي العقدة 731هـ/1330م، حكم لمدة 20 سنة ثم انقلب عليه ابنه أبو عنان وبويع بالحكم بدلا منه. مات في 27 ربيع الاول 752هـ/1351م وعمره 60سنة. ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص: 25-26.
49. **المتوكل على الله فارس بن علي عثمان بن يعقوب بن عبد الحق** (749-759هـ/1348-1357م): ويكنى أبا عنان، ولد في المدينة البيضاء في 12 ربيع الأول 729هـ/1328م، كان فارسا حسن الثقافة، وفقيها يناظر العلماء، وله معرفة بالفقه والمنطق وأصول الدين، ودراية باللغة العربية والخط والحساب، حافظ للقرآن. وبويع الحكم سنة 749هـ/1348م، ومات سنة 759هـ/1357م. ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 27-29.
50. حركات إبراهيم، "الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية – أوت 1975، الجزائر، ص: 185.
51. ابن خلدون ، **المقدمة**، ص: 548.
52. بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681هـ/ 1235-1282م**. قسنطينة، الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011م، ص: 311.
53. ينظر على سبيل المثال الرأي الذي ذهبت إليه هوارية بكاي حين قالت: "وإذا تأملنا تاريخ الدولة الزيانية نجد أن نمو الحركة العلمية فيها كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بسلاطينها الذين كانت لهم الرعاية مستمرة للعلم، والأدب ومختلف العلوم". ينظر: بكاي هوارية، **العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين**

(633-962هـ/1233-1554م). أطروحة دكتوراه غير منشورة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص: 141.

54. قربان عبد الجليل، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**. الجزائر، جسور للنشر والتوزيع ، ط1، 2011م، ص: 72.

55. فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 2، ص: 324.

56. ابن خلدون أبو زكرياء يحيى، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**. الجزائر، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، ط1، 1903م، مج: 1، ص: 48.

57. ابني الامام لقب أطلق على كل من: أبي زيد عبد الرحمن (ت:741هـ/1340م) وأبي موسى عيسى (ت:749هـ/1348م) اللذين اشتهرا بالإمامة، ونشئا في مدينة برشك بالساحل الغربي للمغرب الأوسط ما بين مدينتي شرشال وتنس، ثم ارتحلا بعد مقتل أبيهما نحو تونس أواخر القرن السابع الهجري، وطافا بمجامع العلم ونهلا عن كبار شيوخها ثم عادا إلى موطنهما، ثم حلا بتلمسان بضيافة أبي حمو موسى الأول، وأقام لهما مدرسة للتدريس اشتهرت باسميهما. وأخذ عنهما العديد من طلبة العلم من مختلف أصقاع المغرب الاسلامي. ينظر: الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج: 2، ص ص: 231-232.

58. حاجيات عبد الحميد، **الحياة الفكرية بتلمسان**، ص: 138.

59. **منصور بن علي بن عبد الله الزواوي**: ولد في بجاية سنة 710هـ/1310م، وأخذ عن علمائها مثل المشدالي، وقال ابن مريم يصف قيمته العلمية: "له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية واطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام"، ينظر: ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد أبي احمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**. مر: محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ط1، 1908م، ص ص: 291-292.

60. بوباية عبد القادر، "الروابط العلمية بين بجاية وتلمسان من خلال كتاب البستان لابن مريم المديوني". مجلة عصور الجديدة، ع: 7-8، خريف– شتاء 2013/2012، وهران، ص ص: 96-99.

61. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري**، ص: 207-208. فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج: 1، ص ص: 112-119.

62. حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ج: 1، ص: 209.

63. عبدلي لخضر، **تاريخ مملكة تلمسان**، ص ص: 454-455.
64. حاجيات عبد الحميد، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان**، ص: 20.
65. بوسلاح فايزة، "المدارس العلمية بتلمسان على عهد بني زيان: إشعاع فكري وحضاري". مجلة عصور الجديدة، ع: 2، سنة 2011، وهران، ص ص: 181- 191.
66. حول دوافع اهتمام الزيانيين بالتعليم ومؤسساته. ينظر: عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص ص: 17-21.
67. [1]- التنسي، المصدر السابق، ص: 179.
68. لقد ساهمت التربية العلمية التي حاز عليها أبو حمو في صغره أن يصبح في كبره ملكا أديبا شاعرا، ينظر إلى العلم بعين السمو والتقدير، وهذا ما جعله يبذل جهودا مميزة في تكريس مفاهيم وقيم العلم والثقافة في المجتمع الزياني. ينظر: حاجيات عبد الحميد، **أبو حمو الزياني**، ص ص: 72-73.
69. عمارة فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص: 21.
70. قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص: 75.
71. ابن مرزوق الحفيد، **المتجر الربيح**، ص: 66.
72. عبدلي لخضر، **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (633-962هـ/ 1236-1554م)**. د.م.ن، دار الأوطان، ط: 1، 2011، ص: 452.
73. المقري، المصدر السابق، ج: 7، ص: 136.
74. عرف ابن خلدون البيوتات من أنها: "أن يعد الرجل في أبائه أشرافا مذكورين يتكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة وشرفهم بخلالهم". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**. ض: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص: 137.
75. من أشعر علمائها سعيد العقباني وقاسم العقباني (ت:845هـ/1445م)، ومحمد بن أحمد بن قاسم العقباني (ت:871هـ/1466م). ينظر: بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995، ج: 2، ص: 11.
76. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**. بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1998، ج: 1، ص: 45.
77. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 437. ويضيف يحي بوعزيز عوامل أخرى إلى جانب موقعها الاستراتيجي، وهي: كونها منبتا ومحطا لأنظار العلماء وطلاب العلم،

وأيضا كانت محطة عبور لقوافل الحجاج. ينظر: "المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية". مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية 1975، الجزائر، ص: 4.

78. **خالد بن عيسى البلوي:** هو أبو البقاء علم الدين خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي القتوري إمام وقاض في غرناطة، كان من أهل الفضل كثير التواضع والخلق الحسن وجميل المعشر، محل للعلم، حج وقيد رحلته في سفره ووصف فيها البلاد التي زارها ومن لقي بها. من شيوخه: عبد العزيز القروي، أبو العباس بن شعيب الجزنائي، أبو موسى ابن الإمام ووغيرهم. ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**. مر وتق وتع: بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الأمل للدراسات، 2009، ق: 2، ص ص: 82-86. التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**. تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989م، ج: 1، ص ص: 173-174.

79. **ابن الحاج الغرناطي**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج، ولد في غرناطة سنة 713هـ/1313م، شاعر ومحدث وفقيه وقاض، رحل في طالب العلم فزار بجاية وتلمسان، ومصر والحجاز وبلاد الشام. من شيوخه: أبو بكر بن عاصم والمزي. وله عدد من المؤلفات، منها: اللباس والصحبة، كتاب في الفرائض، رجز بالجدل، الفصول المقضية في الأحكام المنتخبة. ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ق: 1، ص ص: 681-721. التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 46-47.

80. رزوق محمد، المصدر السابق، ص ص: 55-56.

81. فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، ج: 2، ص: 319.

82. المقري، المصدر السابق، ج: 6، ص: 427. ج: 7، ص: 129.

83. **أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي التلمساني (ت:791هـ/1389م):** الشهير بـ"الثغري"، وهو الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الأديب الأريب. تتلمذ على يد عدد من العلماء كالشريف التلمساني. كما كان شاعرا وأديبا وكاتبا ومن أشهر شعراء وبلغاء تلمسان المقدمين لدى سلاطينها، فكان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني، وله قصائد كثيرة نقل بعضها يحيى بن خلدون في البغية والمقري في أزهار الرياض وابن عمار في رحلته نحلة الحبيب. توفي سنة 791هـ/1389م. ينظر: التبكتي أحمد بابا، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**. تح: محمد مطيع، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2000م، ص: 120. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**. بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م، ص: 92.

84. المقري، المصدر السابق، ج: 7، ص: 126.
85. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 19.
86. البكري أبو عبيد الله، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ب.ت.ن، ص: 77.
87. ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، **الفارسية في تاريخ الدولة الحفصية**. تق وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص: 37.